



فلسفه روجيه غارودي من الماركسية إلى الحوار الحضاري

م . د . غصون عبد محمد

(جامعة بغداد / كلية الهندسة- بغداد -العراق)

الكاتب المسؤول: Ghusoon.abd@coeng.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يُعدّ روجيه غارودي واحداً من أبرز الفلاسفة الذين شهدت فلسفتهم انعطافات فكرية عديدة، قادتته إلى الانتقال من الفكر النظري إلى الفكر العلمي، حيث ان الفلسفة من وجهة نظره لا يجب ان تكتفي بالتأمل النظري بل يجب ان تحاول تجاوز مشاكل العالم الانساني وتمنح الانسان دوراً فاعلاً على مسار التاريخ.

فالانسان هو المحور الحقيقي لكلّ المناهج والفلسفات لذلك حسب غارودي يجب رفض كلّ المناهج التي تلغي دور الذات، مشيداً إلى أنّ الفلسفة الحقيقية هي التي تكون قادرة على إحداث تغيير ملموس داخل المجتمع والمساعدة في حل مشاكله، ولا تبقى مجرد تنظير، لذلك قاده هذا التنظير إلى نقد المركزية الغربية والليبرالية، معتبراً أنّها تعيق أي حوار حضاري حقيقي، فضلاً عن الرؤية التي قدمها عن الماركسية التي وجد من خلالها أنّ الماركسية لم تكن كافية لتفسير ازمة الانسان المعاصر وانها بحاجة إلى بعد روحي واخلاقي، لذلك سعى غارودي إلى طرح مفهوم حوار الحضارات الذي يقوم على اسس تاريخية وانسانية معروفة، وكبديل عن مفهوم صدام الحضارات حيث اعتبر إن الحضارات ليست كيانات متصارعة، بل يمكنها ان تتفاعل وتبني جسوراً للتفاهم.

الكلمات المفتاحية: الماركسية، المادية، الحوار، الحضارات، الاعتراف

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٦-٤-١٢ تأريخ القبول: ٢٠٢٦-٥-٢٤ تأريخ النشر: ٢٠٢٦-٦-١

Roger Garaudy's Philosophy: From Marxism to Civilizational Dialogue

Lecturer. Ghusoon Abd Mohammed

University of Baghdad / College of Engineering – Baghdad, Iraq

Corresponding: Ghusoon.abd@coeng.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Roger Garaudy is one of the most prominent philosophers whose philosophy has witnessed many intellectual shifts, leading him to move from theoretical thought to scientific thought, as philosophy, from his point of view, should not be content with theoretical contemplation, but should try to overcome the problems of the human world and give man an active role in the course of history



Man is the true axis of all approaches and philosophies. Therefore, according to Garaudy, all approaches that negate the role of the self must be rejected. He emphasized that true philosophy is that which is capable of bringing about tangible change within society and helping to solve its problems, and does not remain mere theorizing. This theorizing led him to criticize Western centrism and liberalism, considering them obstacles to any genuine civilizational dialogue. Furthermore, he presented a vision of Marxism, finding that it was insufficient to explain the crisis of contemporary man and that it needed a spiritual and ethical dimension. Therefore, Garaudy sought to propose the concept of a dialogue of civilizations based on well-known historical and humanistic foundations, as an alternative to the concept of a clash of civilizations. He considered that civilizations are not conflicting entities, but rather can interact and build bridges of understanding.

.Keywords: Marxism, materialism, dialogue, civilizations, recognition

Received: 12-4-2026

Accepted: 24-5-2025

Published: 1-6-2026

المقدمة

يسعى هذا البحث إلى طرح جذور مشكلة أزلية عانت منها شعوب جميع الأمم والحضارات ألا وهي سيادة الاضطهاد والتمايز العنصري وعدم التقبل والاعتراف سواء على مستوى الأفراد أو الشعوب أو الدول أو الحضارات.

حيث إن فكرة المركزية الأوروبية التي تعود إلى زمن الأغرقي وتأكيدهم على تقدّم العرق الأبيض في سيادة العالم، وإن مآدهم من الشعوب يأتون في درجات متدنية عنهم، لا تزال تُلقي بضلالها إلى يومنا الراهن على شعوب العالم وعلى الأغلب شعوب العالم الثالث.

اذ تناست الدول الغربية التي تصدر هذه الفكرة الدور الذي لعبته الحضارات الشرقية القديمة بمختلف دياناتها وثقافتها، لهذا سعى غارودي جاهداً إلى نقد وهدم هذه الفكرة (المركزية الغربية)

فمن خلال البحث عن كلّ ما أستندت إليه الغرب من مرتكزات يعود أصلها إلى الحضارات الشرقية سواء على مستوى العلوم والثقافة والفنون، اذ لا يوجد مصداقية لفكرة التفوق الغربيّ في صنع الحضارة الانسانية، وأنما الحضارة الانسانية حضارة شاملة ساهم في صنعها كل شعوب الارض ولا تقتصر على شعب واحد.





إن تأسيس غارودي لمشروع حوار الحضارات كان نتاج تبنيه أفكار الفلسفة الماركسية وما وجده داخلها من قصور وجمود ومحدودية في الأفكار من الناحية المادية والبيولوجية دفعت به إلى تبني وجهة نظر نقديه يسعى من خلالها إلى البحث عن أفق فكري أكثر عمقاً وشمولاً قادر على تجاوز المشكلات الانسانية واستيعاب البعد الروحي للانسان، لهذا أنتج مشروعه المتعلق بالحوار الحضاري بين الثقافات.

لهذا سوف نجد أنّ الجانب الأول من هذا البحث سوف يركز على ما تبناه غارودي من أفكار للنظرية المادية وإيمانه بالمادة من حيث هي أساس الوجود فضلاً عن محاور النقد التي قدمها الفلسفة المادية القديمة مروراً إلى أفكار المادية الديالكتيكية لماركس وانجلز، ومدى توظيف هذا الديالكتيك في تفسير تطور الظواهر المادية، والتي من ضمنها الحياة الاجتماعية التي عنى غارودي بدراستها من أجل تحرير المجتمعات من الأنظمة المستبدة، حيث تخضع المجتمعات لمراحل من التطور والتبدل الدائم المتمثل بالثورات ضد الأنظمة الظالمة أو حالة الصراع الطبقي في المجتمعات التي يسود فيها النظام الرأسمالي.

ثم ننعطف بتناول الجزئية الثانية من البحث مشروع غارودي (حوار الحضارات) والذي أكد من خلاله على مبادئ الحوار والتفاهم والتفاوض، لأنها تعدّ السبيل لتجاوز المشكلات الانسانية وبناء مشروع انساني عالمي قائم على التفاهم والاعتراف بالآخر.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تتبع المسار الفكري والفلسفي لروجيه غارودي، من التزامه بالماركسية والمادية الجدلية إلى تحوّله نحو مشروع "الحوار الحضاري"، وذلك من خلال تحليل العوامل الفكرية والسياسية والروحية التي أسهمت في هذا الانتقال، وبيان كيف شكّل هذا التحول رؤية جديدة تقوم على تجاوز الأيديولوجيات الصارمة والانفتاح على قيم العدالة والإنسانية والتفاعل بين الثقافات. كما يسعى البحث إلى إبراز أثر هذه الفلسفة في النقاشات المعاصرة حول العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، وإلى تقييم إسهام غارودي في تأسيس مفهوم الحوار الحضاري كبديل عن الصدام الثقافي.

المبحث الأول: النقد الفلسفي للمادية الماركسية عند روجيه غارودي

في ظلّ تصارع الافكار والتصورات الذي شهده العالم ما بين مؤيد للمثالية التي جسدتها أفكار هيغل، وبين معارض لها ومؤيداً للمادية التي خطتها افكار فيورباخ، شهد العالم العديد من التطورات في مجال العلوم والاكتشافات التي تخصّ اكتشاف الخلية وتطور الكائنات الحية من قبل داروين واكتشاف تحول الطاقة، وأصل الانواع، أدت إلى أن يعي الإنسان الحال الذي مر به العالم والطبيعة من تغيير وتبدل (غارودي، ب س، ص ٤٩) فلم يعد يوجد شيء ساكن وهذا ما كان داعياً إلى أن يمهد الطريق أمام كارل ماركس وانجلز في أنّ هي يشقا طريقهما نحو وضع اساس للمادية الديالكتيكية التي هدمت في فحواها كل اساس للنظرية الميتافيزيقية حيث انها قامت على دراسة تطور الظاهرة من باطنها بمعنى انها ارجعت اصل تطور الاشياء



إلى حركتها الذاتية الداخلية إذ أن هذا التناقض الباطني ينطبق على كل الاشياء والظواهر وهو الذي يبعث فيها الحركة والتطور وهذا ما يمثل أهم خاصية للعالم المادي (بوناب، ٢٠٢٠، ص ٤٩).

الذي تشكّل الحياة الاجتماعية جزءاً منه حيث يخضع المجتمع لهذا التبدّل والتطور الدائم المتمثّل بالثورات البرجوازية ضد النظام الاقطاعي في فرنسا وانجلترا وانتهاً إلى الصراع الطبقي وتفكك النظام الرأسماليّ يقول انجلز "أن الديالكتيك هو تعاليم عن القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة والمجتمع الانساني والتفكير وملاحظة حجم التطور في التناقضات الملازمة للاشياء والظواهر نفسها (المصدر نفسه، ص ٢١).

وهنا نلاحظ أنّ حقيقة الديالكتيك المادي عند ماركس وانجلز هو عينه عند هيغل وذلك لكونه ينظر إلى الاشياء من خلال حركتها وصوريتها وبالتالي تفسيرها من خلال ايجاد أو اكتشاف المسبب المادي لها إلاّ أنّه يتعارض مع هيغل من حيث إنّ ديالكتيك ماركس يدرس الانسان والتاريخ من خلال التوجّه إلى دراسة الانسان في الواقع والشروط الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به وليس من خلال الانطلاق من نقطة دراسة افكاره (فروم، ١٩٩٨، ص ٢٨).

يقول ماركس إنّ التعارض المباشر مع الفلسفة الالمانية التي تنطلق من السماء نزولاً إلى الأرض هو اننا نصعد من الأرض باتجاه السماء أي اننا ننطلق من البشر-الفاعلين الواقعيين؛ لأننا من خلال دراسة تقدم حياتهم الواقعية ستظهر تطور الاصداء والانعكاسات الايديولوجية لهذا التقدم (فروم، ١٩٩٨، ص ٢٦-٢٧).

وبناءً على ذلك قسم ماركس العلاقة بين أنظمة المجتمع ببناء ذي طبقتين، يمثل الطابق الاول او السفلي منه النظام الاقتصادي بكل تفاصيله، اما الطابق الثاني او الاعلى فيشمل كل ما هو ثقافي وديني وسياسي، لهذا فأن حدوث اي تغيير في نظام الطابق الاول اي النظام الاقتصادي سيؤدي بالضرورة إلى حدوث تغييرات في الطابق الثاني اي الجانب الثقافي والديني والسياسي (بوناب، ٢٠٢٠، ص ٢١٧).

هذا البعد الانساني الذي خطته الماركسية كان حافزاً لدى روجيه غارودي ان يتمسك بالماركسية واهدافها التي تتجلى في الثورة على الاستغلال والاعتراب والطبقية وتحرير الانسان بشكل كامل (المصدر نفسه، ص ٢١٧).

إلاّ أنّه بالرغم من تبني غارودي لأفكار الماركسية وانخراطه في الحزب الشيوعي لاحظ حجم ومحدودية هذه الافكار من الجوانب المادية والايديولوجية، فهي قد تحولت من وجهة نظره إلى دين رسمي ذي طقوس واتباع ، وإلى مذهب مغلق ونزعة وثوقية، وهو ما يعد انحرافاً عن الماركسية الاصلية، مستشهداً بقول انجلز "نظرنا ليست ناموساً الهياً يجب حفظه عن ظهر قلب وترديده آلياً بل هي دليل عمل" حيث ان غارودي كان يسعى لإيجاد افقاً فكرياً يكون قادراً على حل مشكلات الانسان في العالم ، يقول غارودي "ان تكون



ماركسياً لا يعني ان تردد في القرن العشرين ما قاله ماركس في القرن التاسع عشر بل ان نستعمل أسلوب ماركس في حل مشاكلنا كما حل هو مشاكل عصره" (المصدر نفسه ، ص ٢١٧).

لذلك نجد أن غارودي في البداية قد وضع عدة نقاط انتقد من خلالها المادية القديمة (اي مادية القرن الثامن عشر) التي حاولت التقليل من قيمة الفكر ودوره الحيوي في حل المسائل التي يتطلبها نمو المجتمعات وتطورها، ومن أهم هذه الانتقادات: (غارودي، ب س، ص ٤٩-٥٠).

١. الميكانيكية التي كانت تتصف بها المادية القديمة والتي كانت تنظر إلى الانسان على أنه آلة، وهذا ما يجعل جميع افعاله آلية دون وجود دور لأرادته.

٢. ما كانت تتصف به المادية القديمة من ميتافيزيقية وغيبية حيث ارجعت حركة العالم وتطوره ونموه إلى الجانب الغيبي الذي لا يستطيع الانسان ادراكه ومعرفته.

٣. النقص الذي كانت تعاني منه المادية القديمة، حيث لا يمكن تطبيق مبادئها في مجال العلوم الاجتماعية والتاريخ، وذلك لانها لم تكن تعرف الصلة بين الانسان والطبيعة، وحسب غارودي لم تكن قد توصلت إلى فهم دور العمل وادواته في الانتقال من الحياة البيولوجية إلى الحياة الاجتماعية لذلك هي عاجزة عن تفسير تحول العالم ولا المساعدة في تحوله فهي تظل تأملية غير فاعلة.

يقول ماركس " إن العيب الرئيسي- في كل المادية السابقة بما في ذلك مادية فيورباخ - يكمن في انها لا تدرك الموضوع الواقع، العالم المحسوس الا في شكل موضوع او حدس ، وليس بوصفه نشاطاً انسانياً عينياً ممارسة ، وبصورة ذاتية وهذا ما يفسر- لم تولد المثالية تطوير الجانب الفعال بالتعارض مع المادية، ولكن على نحو مجرد ليس إلا، باعتبار أن المثالية لا تعرف بالطبع النشاط الواقعي العيني كنشاط واقعي عيني" (غارودي ، ١٩٧٠، ص ١٠٩).

وحسب غارودي فإن كلاً من ماركس وانجلز قد سعيا وبصورة جاهدة إلى اثبات أن الانسان ما هو إلا مجموع علاقاته الاجتماعية لهذا فهو لا يستطيع أن يتطور دون أن يؤثر عملياً بمساعدة وسائل الانتاج التي خلقها، اذ يظهر أن وسائل الانتاج وتبدل هذه الوسائل هو القوة التي تحدد الحياة الاجتماعية، وهذا ما يتيح على خلق الطريقة لحلّ المشكلات النظرية للمعرفة (غارودي، ص ٥١).

ولهذا فإن كل نظرية للمعرفة يُنظر إليها من خارج علاقاتها بالممارسة العملية لا يمكن أن تقود إلا إلى مأزق ، لأنها تجتث جذور المعرفة من تربتها الحية وتجعل اصولها وتطورها غير قابلة للفهم (المصدر نفسه ، ص ٥١) وذلك لأنها تعود بها إلى التطورات ما قبل الماركسية أي: إلى التصورات الدوغمائية الفلسفية ، حيث إن كل مذهب مادي لا ينطلق من وعي الجانب الفعال للمعرفة ويزعم إنه يتكلم عن الاشياء متجاوزاً الانسان هو مذهب مادي ما قبل نقدي ، لذلك يعود الفضل الأكبر للماركسية في أنها عالجت المادية على ضوء أفكار كانت وفيخته وهيغل (غارودي ، ١٩٧٠، ص ١١٠).



وهنا نجد أنّ المادية الديالكتيكية حسب غارودي قد قامت بمحاولة لدمج ماركنته المثالية من نشاط وممارسة للذات ودمجها بالمذهب المادي والممارسة الانسانية.

وهنا نستنتج أنّ نظرية المعرفة قد ارتبطت بالممارسة الانسانية العملية التاريخية، فهي المصدر الرئيسي- لمعرفة الانسان من الاحساسات تنبثق من خلال عملنا لتحول العالم الخارجي، وهي باستمرار متصللة ومرتبطة بحاجتنا وبالحرركات التي نقوم بها لسدّ هذه الحاجات، لهذا لا يمكننا تعريفها خارج خطوات رؤية تأثيرنا في الطبيعة التي تكون احداثياتها (غارودي، ص ٣٥٣).

فالممارسة العملية لا تمثّل عمل الانسان الفردي وحسب بل هي تمثل جوهر الانتاج وصراع الطبقات وهي تتبدى في جميع مجالات الحياة الاجتماعية من التجربة العلمية إلى النضال السياسي ومن التكنيك الصناعي إلى الابداع الفني (غارودي، ص ٣٥٦).

يقول ماركس "في الانتاج، لا يفعل الناس في الطبيعة وحدها بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر، فهم لا ينتجون الأمتعاونين بشكل محدّد ومتبادلين فيما بينهم فاعليتهم ولكي ينتجوا، يدخلون في صلات وعلاقات محددة بعضهم مع البعض الآخر، وفي حدود هذه الصلات وهذه العلاقات الاجتماعية فقط يتوحد فعلهم في الطبيعة ويتم الانتاج (غارودي، ص ٣٥٧).

حيث إنّ تأسيس الطبيعة حقيقة اختيارية تجريبية، وقد كان مأخذ ماركس على مادية فيورباخ أنّها لا تتصور العالم المادي بوصفه نشاطاً عملياً...، فهو شأنه شأن جميع الماديين القدامى الذين لا يفهمون العالم على أنّه جملة النشاط الحي والمادي للأفراد الذين يتألف منهم ذلك العالم... حيث إنّ التاريخ والمذهب المادي منفصلان لديه انفصلاً كاملاً (غارودي، ١٩٧٠، ص ١١٢).

فالمادية الماركسية اذن وحسب كل ما تقدم تقوم على أطروحتين أساسيتين تأتنيان بحل مبتكر لمشكلة العلاقات بين الذات والموضوع الاولى ترتبط بتأسيس الطبيعة وتوكيدها، والتي لا يمكن أن يسقط في حسابهما الممارسة اي الذات، وأطروحة اولوية المادة وتوكيدها، لذلك فإن اي موضوع لا يمكن أن يعرف بدون ذات، وكل ما عدا ذلك فهو لغو باطل (غارودي، ص ١١٠-١١١).

لذلك نجد أنّ ماركس قد قام بمحاولة لدمج كل ما ركنته المثالية، من نشاط وممارسة للذات ودمجها بالمذهب المادي والممارسة الإنسانية.

المبحث الثاني: الفكر النقديّ والحوار بين الحضارات عند روجيه غارودي

ابتدأ غارودي كتابه حوار الحضارات برؤية نقدية وجهها إلى الغرب وما يقعون فيه من تضخيم وتهويل حول ادعائهم انهم مركز العالم (المركزية الغربية)، حيث اعتبر ذلك أحد الحقائق المزيفة لأنّها قامت على



أساس التشويه و التزوير للحقائق التاريخية للتراث الأوربي، متناسين الدور الذي لعبته المصادر اللاغربية (كالحضارات الشرقية بمختلف ثقافات و دياناتها) (غارودي، ٢٠٠٣، ص ١٠٦).

وفضلاً عن ذلك يرى غارودي، إن هذا الأذعاء يحمل في طياته نزعة عنصرية واستعلائية واضحة، كان من أثرها أن دعا غارودي إلى ضرورة ايجاد حوار حضاري بين جميع الحضارات حيث اعتبر ان المصادقية ازاء القيم الاجتماعية (خليل، ٢٠٠٠، ص ١٥).

وتحليل الآليات التاريخية أحد أهم الشروط التي يتطلبها قيام حوار الحضارات، إذ يكشف لنا هذا التحليل المعايير التي صنعت او زيفت هذا الحوار، وافقرت معايير المقارنة ولا سيما شروط عدم التوازن الاقتصادي المطرد بين الغرب والعالم الثالث (غارودي، ٢٠٠٣، ص ٤٠).

فالحضارة الإنسانية بمعناها الواسع هي حضارة ساهم في صنعها كل البشر، ولم تقتصر. نشأتها على الغرب، كما انها ليست صنعة الامم الغربية وحدها، فهم لم يكونوا الشعب الوحيد الذي ظهر على الارض ولم يكونوا اول من أوجد حضارة او اكتشف علوماً لأنهم في الحقيقة تعلموا على يد الحضارات الشرقية الكبرى، وخاصة مصر و بابل، و وسيطاً على يد الحضارة العربية الاسلامية، وحديثاً كانت الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الصينية هما منبعا عصر النهضة والعصر الحديث (النشار، ٢٠٢٣، ص ١٥٨).

يقول غارودي " إن ما أصطلح الباحثون على تسميته بأسم الغرب انما ولد فيما بين النهرين، وفي مصر أي في آسيا وافريقيا، فاذا رفضنا اعتبار الغرب ماهية جغرافية ونظرنا اليه باعتباره حالة فكرية متجهة إلى السيطرة على الطبيعة والناس، لوجدنا ان مثل هذه النظرة إلى العالم ترقى إلى الحضارة الأولى المعروفة التي ظهرت في دلتا دجلة والفرات" (غارودي، ٢٠٠٣، ص ١٨-١٩).

حيث أنّ مولد حضارتنا المتميزة بإرادة السيطرة والنفوذ، تجد تعبيرها الأدبي في ملحمة جلجامش، وقد سبقت الالبابذة بألف وخمسمائة عام، هناك ارتفع الستار عن أول فصل في تاريخنا (يقصد تاريخ الغرب) وثمة ينبوع آخر كحضارتنا نجد جذوره في مصر. إذ إن الفلاسفة والمؤرخون كانوا يعجبون بمصر- اعجاباً عظيماً، وتدين آراء أفلاطون الثنائية لها بالشيء الكثير، لقد كان افلاطون يحلم بدولة ذات استقرار سياسي، بينما كان يعيش في ظل ديمقراطية تحفل بالحركة، وكانت مصر- انموذجة، قد ألهمت الحضارة الأغرريقية أيما الهام (المصدر نفسه، ص ١٨-١٩).

لهذا يمكننا القول بأختصار أنّ العرب لم يقتصر- دورهم على احياء الثقافة القديمة وانما أسهموا بأبداع ضخم في احياء الثقافة العالمية وفي تنمية التقنيات والعلوم (غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ٢٠٠٣، ص ١٨-١٩).



التي جعلت الغرب ينتقلون من العصر-الاقطاعي إلى الرأسمالية ، وما تتضمّنه من آليات التوسع الدائم حيث إنّ هذا التفوق الغربي المزعوم لم يكن تفوقاً ثقافياً بقدر ما كان تفوقاً في الاستخدام العسكري والعدواني لتقنيات الاسلحة المدمرة في الحقتين الكولونياتية والامبريالية (غارودي ، ١٩٩٠، ص ١١).

لهذا وجد غارودي أنّ مشروع حوار الحضارات سيساهم في ايجاد مستقبل افضل لكوكب الارض، لان الإنسانية لا تتقدم الا في ظل شرعة السلام والمنافع المتبادلة، وذلك كله بمشاركة الجميع (المصدر نفسه، ص ١٢).

حيث إنّ مشروع حوار الحضارات من وجهة نظر غارودي كان هو الطريق الذي يجب ان تسير وفقه جميع الحضارات، لأننا من خلاله سنكون قادرين على تجاوز اختلال المعادلة التي تفضل الشمال على الجنوب الذي يعادل فيه استهلاك فرد واحد من الشمال (١٥٠) فرداً من عالم الجنوب، او اقل ان ١٠% من سكان الشمال يستثمرون ٩٠% من الخيرات تاركين لـ ٩٠% من سكان الجنوب ١٠% من الثروات (الجابري، ٢٠٠٥، ص ١٥١-١٥٢).

لهذا نادى غارودي بقيام ثورة ثقافية عالمية لتيسير هذا الحوار الذي لا يتحقق الا بـ : (غارودي ، ٢٠٠٣، ص ١١).

١. أن تتحمل جميع الحضارات سواء اللاغربية والغربية في الدراسات والثقافة مكانة واحدة.

٢. رؤية الفلسفة بمنظار جديد على انها طريقة للحياة لا بحثاً فكرياً.

٣. إنّ توازي مكانة علم الجمال مكانة بقية العلوم والتقانة.

٤. إدراك أهمية غايات التاريخ وتصور المستقبل بالمستقبل يحتاج إلى مشاركة الجميع لصنعه وهذا لا يتحقق الا بمشروع حوار الحضارات، لان هذا المشروع يتطلب الانطلاق من الرؤية الجماعية المتكاتفه لامن الفردانية، ننطلق من ديمقراطية المشاركة الناجمة من غايات شخصية بآراء الجميع.

لذلك نجد أنّ غارودي قد بدأ حواراً بتأكيده على ان الحضارة اليونانية والتي تعتبر أساس الحضارات الغربية لم تنشأ وليدة ذاتها بل بحوارها مع باقي الحضارات، الامر الذي جعلها تصل إلى ما وصلت اليه... لهذا جاء تأكيده على ان التعبير الاوربي للحضارة الغربية القوية نجده في ملحمة كلكامش (غارودي ، ٢٠٠٣، ص ٢١-٢٢).

فضلاً عن ان المتتبع لرؤية غارودي النقدية يجد انها قد خطت مساراً أنتقل بالإنسانية من حالة اللايقين إلى اليقين، وذلك لما كشفتهُ من اخطار الأيدلوجية العنصرية وما سوف تؤول اليه الرأسمالية من حالة الاستهلاك والاحتكار والتلف، فضلاً عن ما قدمته من وثائق ملموسة عن حقيقه الشيوعية التي سوف تنتهك من وجهة نظره الحرية وتهدر الأدمية و الانسانية (الصاوي، ١٩٨٥، ص ٩٧).



لذلك كان غارودي يسعى من خلال الحوار الثقافي الحضاري على المساعدة في خلق حالة من الوعي لدى الجماهير لأدراك المشاكل التي تحيط بالعالم والتي كان أغلبها قد نتج عن الهيمنة الغربية يقول... ان امريكا طليعة انحطاط الغرب ، اذ يعد الامريكان سادة الفوضى الحاليين ، الذين ارادوا بالتبعية المصنعة في المراكز السرية ، ان يفرضوا على الجماهير فكرة وكأنها بديهية من البديهيات تقول ان تفكك الاتحاد السوفيتي يعني انهياراً للماركسية ، لكن يوهمها بأن المخرج الوحيد للإنسانية من ازمته هو بالعودة إلى شريعة الغاب ، لكي تكون تحت رحمة الوحش الرأسمالي الأكبر الذي يتعاش على الاستغلال (غارودي، ١٩٩٦، ص ٧٩).

وفضلاً عن حالة الوعي التي يحققها الحوار فإنه يحقق نوعاً من الانفتاح الثقافي على آفاق انسانية لا نهاية لها في المنظور الذي توصي به جميع المجالات في احدث تجددات الثقافة الغربية (عواضه، ٢٠٠٠، ص ٦٦).

وقد أشار غارودي إلى خلاصة الامكانيات البشرية التي تشكل بمضمونها الشامل التاريخ، حيث إنّ البحث عن الابعاد الحضارية التي فقدها الانسان خلال فرص التاريخ المفقودة واعادة غرزها تمكنا من انتزاع جبرية المستقبل التي لن تتحقق الا اذا انتزعنا جبرية التاريخ (غارودي ، ٢٠٠٣، ص ١٥٨).

حيث إنّ تعاقب الحروب على المجمع الأوربي في القرن العشرين كان وراء ذهاب غارودي لحوار الحضارات دون صدامها لكي يضع ثمار الحضارات بيد الانسان و مستقبله، أي المستقبل المباشر وهذا يمثل البعد الرئيسي للحضارة، فالمستقبل من وجهة نظر غارودي ليس بالضرورة ان يكون امتداد لرغباتنا واحلامنا، بل امتداد في مشاريعنا المستقبلية الجديدة التي تبدأ من الآن وصعوداً إلى ما شاء الله، لذلك أعطى مكاناً متميزاً للحضارة التي تؤلف نصف سكان العالم (غارودي، ١٩٧٧، ص ١٤-١١) وايضاً (غارودي، مشروع الامل ، ١٩٧٧، ص ٩٦-٨٧)

(الماضي والتراث) وقد أشار غارودي إلى أن ذروة التاريخ الحقيقي هو ذلك التاريخ الذي لا يجعل الغرب مرتكزاً له ليدور حوله، لذلك نلاحظ أنّ التاريخ عند غارودي قد امتاز بعدة نقاط منها: (غارودي، ١٩٧٧، ص ٢٢)

- ١- إنّ التاريخ ليس تاريخاً خطياً ذا بعد واحد، بل هو على العكس شيء من عديد من الممكنات، وإنه لا يبدو لنا ضرورياً الا عندما ننظر إلى الماضي ونرى ما تحقق من هذه الممكنات.
- ٢- مثل التاريخ لديه سلسلة من الوقائع اللانهائية من الامكانيات الحافلة.
- ٣- نظر إلى التاريخ نظرة انسانية شاملة اراد من خلالها ان يبين ان التاريخ هو نتاج كل عائلات العالم، ومن كلّ الثقافات والحضارات



يقول غارودي لإيجاد حياة جديدة وعلاقة وطيدة بين الانسان والطبيعة وبين الانسان واخيه، في وحدة انسانية لا تقاوم على أساس خليط انتقائي بل تناسق ثقافي، يجب على كل فرد ان تكون لديه معرفة وفهم بالآخر وتمييز بين الثابت والمتغير والجديد (الصاوي، ١٩٨٥، ص ١١١)

وبهذا تكون دعوة غارودي إلى حوار الحضارات والثقافات ذات مغزى يرجع من الناحية الاولى إلى اسقاط مقولة المركزية الغربية ومن الناحية الثانية تأكيد حضور الامم الاخرى على خارطة الفلسفة والحضارة من جانب آخر مثل (الصين والهند والوطن العربي وأمريكا اللاتينية) (الجابري، ص ٣٢٨)

وهنا نستنتج أنّ الحوار قد احتلّ تلك المكانة المهمة لما يجسده من سبيل أساسي في المعرفة التي تبدأ من الذات يقابلها من الناحية الأخرى الأمم الاخرى التي تمثل المعاناة والهموم نفسها ثم مع الآخر (الغرب) الذي يعترف بحق الآخرين في الحياة والحوار والتقدم من أجل خلق مستقبل أفضل للإنسانية (غارودي، ٢٠٠٣، ص ١٥٨)

وقد أشار غارودي في امكان عديده من طروحاته إلى ان امريكا هي طليعة انحطاط الغرب (غارودي، ١٩٩٦، ص ٧٩) فهم يسعون إلى الغاء الثقافات الاخرى وابداء ثقافات المواطنين الاصليين (غارودي، ٢٠٠٠، ص ١١٩-١٢٩) فضلاً عن ما أشاره كتابه (حفارو القبور نداء جديد إلى الاحياء) وهم سكان امريكا والغرب الذين دفنوا احلام البشرية في اطار مشاريع براقه كالشرق اوسطية او العولمة وما إلى ذلك من وسائل الاعلام المضلل القائمة على فكرة (تصنيع الحقائق) المختلفة في ظهورها والمتشابهة في جوهرها، فالمستهدف نفسه والأهداف ذاتها منذ مطلع العصر الحديث وحتى الوقت الحاضر. (المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٩)

وهنا نجد أنّ غارودي في جملة قراءاته النقدية اللاتاريخية في الغرب بعدة حقائق منها هو ان مقولة او تصور أنّ الغرب صانع الحضارة هو مقولته او تصور خاطئ فالغرب لم يصل إلى حاله اليوم لولا ما أنجزته شعوب وثقافات العالم عبر مسيرة طويلة، فضلاً عن تضخيم الثروة على أساس البعد الاجتماعي، سوف تكون له نتيجة حتمية محددة الأ وهي زيادة المشاكل الانسانية، فيزداد الغني غناً والفقير فقراً وبالتالي تتسع الفجوة بين الشمال المعاصر والجنوب وبالتالي تجد الشعوب الدائرة في فلك امريكا تواجه خطر فقدان هويتها الثقافية، بسبب ما يمارسه الغرب من تسلط وهيمنة على تلك الشعوب مما يجعلها تفقد حريتها واستقلالها (العجلوتي، ٢٠٠٢، ص ٢٩)

لذلك فإنّ مشروع حوار الحضارات هو المحور الذي سيساهم في تجاوز اختلال المعادلة التي يتقدّم فيها الشمال على الجنوب وبالتالي بناء مشروع يحقق مستقبل أفضل للإنسانية.

لهذا وجد غارودي بعد اعتناقه الإسلام أنّ الإسلام هو الضالّة التي تمكّنه من تحقيق اهدافه بأعتبره لغة مسالمة للحوار بين الحضارات، فلا أمل في انقاذ الغرب من الانقراض والتلاشي إلا بأن يعي حوار الحضارات الأخرى ويعترف أنه مدين لها ويعمل على تفسير موقفه المتعنت من الاسلام، فالقرآن اعترف بأهل الكتاب



وترك لهم حرية الاختيار بين ما هم عليه من معتقدات وبين الدخول في الاسلام فالكل سواسية ، لا توجد في الاسلام طبقيه او اسم مختار ، فهو دين الاخاء والتكافل الاجتماعي والمساواة (الصاوي، ١٩٨٥، ص٤٦).

فالحوار يتطلب أولوية في الحياة الروحية وبعث تلك الروح في الانسانية جمعاء ليكون الانسان انساناً وليس مجرد أداة مادية تزيد الانتاج (غارودي، ١٩٩٨، ص٤٦).

ويشير غارودي إلى إنّه قد وضع عدداً من المحاور رسم من خلالها أهداف الحوار الذي يسعى إلى تجسيده منها أنّ هذا الحوار يسعى إلى تغير الوعي الثقافي من اجل احداث تغيير جذري في نموذج النمو الغربي "التنمية من اجل التنمية" وذلك عن طريق الدخول في حوار مع الحضارات اللأغربية من اجل العمل على احلال نظام ثقافي جديد ينسجم مع المستقبل المطلوب ابداعه (بشيوة، ٢٠٠٩، ص١٣٤-١٣٥) .

فمن خلال هذا الحوار يتم كبح جماح التصور الغربي التسلطي الذي كان سبباً مباشراً فيما تعاناه دور العالم الثالث من تراجع مادي، وما يتعرض له العالم الغربي من بؤس روحي.

ومن جانب آخر يرى غارودي إنّ من أهداف هذا الحوار إنّه يتيح الفرصة أمام الانسان في العالم الغربي أن يعي نسبية مفهومة عن العالم، مما يتيح له ان يتصور امكانات مستقبلية أخرى غير النمو من أجل النمو، وأن يتصور حياة جديدة تتميز بتفتح ثقافي يمنحه نوعاً من التوازن مع الآخر بالمشاركة والتعاون بدلاً من نزعة السيطرة والتنافس ، وبذلك تتاح له امكانية اغناء جانبه الروحي ، فالحوار يساعد على الكشف عن غايات أخرى للتنمية الغربية ، غايات انسانية تفتقدها تلك الحضارة (بشيوة، ٢٠٠٩، ص١٣٤-١٣٥)

وهنا يتبين أنّ مشروع غارودي عن الحوار الثقافي للحضارات يهدف بصورة رئيسية إلى تغيير التصور الغربي التسلطي عن طريق طرح ممكنات أخرى للعيش على وجه أكثر انسانية.

وعلى ضوء ما تقدّم نستطيع ان نستنتج ان محاولة وضع تصور للحوار بين الحضارات لابد ان يكون شاملاً لجميع مظاهر الحضارة من سياسة او دين او اقتصاد وفن وفلسفة فضلاً عن ضرورة اعتراف الغرب بأن الحضارة ليست حكراً له، وان يدرك ان ما يسمى بالحضارة الغربية ما هو الا نتاج شاركت فيه حضارات الشرق بالقسط الوفير (نجم، ٢٠١٠).

الخاتمة:

١- سعى غارودي من خلال مشروعه حوار الحضارات إلى ايجاد طريق لتجاوز المشكلات الانسانية وبناء مشروع انساني عالمي قائم على التفاهم والاعتراف بالآخر.

٢- إنّ نقد غارودي للعالم الغربي او فكرة المركزية الغربية يعود إلى محاولة الغرب بأختزال الانسان في بعده المادي وتهميش القيم الروحية والاخلاقية.



٣- بالرغم من الجدل الذي أثارته طروحات غارودي إلا أنها تبقى ذا أهمية بالغة في الفكر المعاصر وذلك لما تحمله من دعوات إلى بناء مشروع حضاري على أسس اخلاقية وانسانية.

٤- يهدف مشروع حوار الحضارات إلى تجاوز مشكله تقف في وجه هذا الحوار الا وهي مشكلة الاستعلاء الغربي حيث يدعو الحوار الحضاري إلى التعايش السلمي بين الحضارات والتفاهم والتعارف بين المجتمعات.

٥- إن مشروع حوار الحضارات يعد احدى اسس التطور الغالب وذلك لكونه يقدم صورة حقيقية عن كل حضارة ويساعد على التعايش واحترام الثقافات والامم وتقبل الاختلافات العرقية والدينية.

٦- إن الحضارة الانسانية حضارة شارك في تكوينها كل الشعوب والامم في العالم ولم يقتصر تكوينها على شعب أمة بحد ذاتها.

٧- كان تأثير العالم العربي والدين الاسلامي واضحا على غارودي وذلك لما يحمله من قيم عدالة ومساواة وحرية واعتراف بالآخر وهي مبادئ قام بها عليها مشروعه حوار الحضارات.

٨- انا تبني ضروري للفلسفة الماركسية، ساهم بشكل واضح في تكوين اساس الفلسفة النقدية وبالأخص ما ادركه من محدودية هذا الفكر وخاصة في بعده المادي والايديولوجي.

٩- أمن غارودي بالمبدأ المادي باعتباره اساس الوجود الاحساس والادراك ومن ثم فان العالم لا يمكن النفوذ اليه ومعرفة قوانينه وادراكه الا من خلال مفهوم المادة.

١٠- إن العلم وقوانينه يمكن النفوذ اليها من قبل المعرفة التي تراجعها التجربة والنشاط العلمي، فالواقع من وجهه نظر غارودي مستقل عن احساسنا وافكارنا ومستقل عن كل حس او فكر نراه منتظما في النشاط العلمي اليومي.

١١- انتقد غارودي المادية القديمة لكونها لم تكن تعرف الصلة بين الانسان والطبيعة يتمثل بالنشاط العلمي (الممارسة) فهي قد اهملت دور العمل وأدوات الانتاج في الانتقال من الحياة البيولوجية إلى الحياة الاجتماعية لذلك فهي لا يمكنها تفسير تحول العالم ولا المساعدة في تحوله وإنما تظل تأملية له غير فاعلة.

المصادر:

- ١- غارودي، روجيه، النظرية المادية في المعرفة، ت: ابراهيم قريط، دار دمشق للنشر والتوزيع.
- ٢- بوناب، كمال (٢٠٢٠)، الماركسية والمادية الجدلية، مجلة ابحاث قانونية وسياسية، المجلد ٥، العدد ٢٠٢، ديسمبر، الجزائر.



- ٣- فروم، أريك (١٩٩٨)، مفهوم الانسان عند كارل ماركس، ت: محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر- والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١.
- ٤- غارودي، روجيه، النظرية المادية في المعرفة (ماهي المادية)، ت: محمد عيتاني، دار المعجم العربي، بيروت.
- ٥- غارودي وماركس (١٩٧٠)، ت: جورج طرابيش، منشورات دار الاداب، ط١.
- ٦- غارودي، روجيه (٢٠٠٣)، في سبيل حوار الحضارات، ت: عادل العواد، دار عويدات للنشر والطباعة، ط٥، بيروت.
- ٧- خليل، بكري محمد (٢٠٠٠)، الحدائة والحوار الحضاري، دراسة منشورة في مجلة دراسات فلسفية، بيت الحكمة، بغداد، العدد (١) (كانون الثاني، آذار) السنة الثانية.
- ٨- النشار، مصطفى (٢٠٢٣)، المركزية الغربية، نشأتها التاريخية وخلفياتها الايدلوجية، مجلة الاستغراب، العدد ٢٩، ابريل.
- ٩- غارودي، روجيه (١٩٩٠)، من اجل حوار بين الحضارات، ت: ذوقان قرقوط، ط١، دار النفائس، بيروت.
- ١٠- الجابري، علي حسين (٢٠٠٥)، الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه، دار مجدلاوي، بيروت.
- ١١- الصاوي، امينة (١٩٩٦)، غارودي وحضارة الاسلام، دار العبكة، ط٢، جدة.
- ١٢- غارودي، روجيه (١٩٩٦)، نحو حرب دينية- جدل العصر- تقديم اليوناردو بوف، ت: صباح الجهيم، دار عطية، بيروت.
- ١٣- عواضه، واصف (٢٠٠٠)، امريكا- امريكا والآخرون، القوة والثروة الاعلام، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت.
- ١٤- غارودي، روجيه (١٩٧٧)، البديل، ت: جورج طرابيش، دار الاداب، ط١، بيروت؛ وايضا: غارودي، مشروع الامل، دار الاداب، بيروت.
- ١٥- الجابري، علي حسين (ب،ت)، الحوار بين الفلسفات والحضارات في التقديم إلى التجديد، مجلة الموقف الثقافي، بغداد.
- ١٦- غارودي، روجيه (٢٠٠٠)، حوار حول كتابة " خمار والقبور"، مجلة الحكمة العدد ١٨، السنة الثالثة، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد.
- ١٧- العجلوني، إبراهيم (٢٠٠٢)، اللاحوار مع السادة الامريكان الناشر دار الابرار للنشر- والتوزيع، ط١، عمان.
- ١٨- غارودي، روجيه (١٩٩٨)، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، ت: رجب يوديوس، الدار الجماهيرية، ط١، مصرانه.
- ١٩- بشيوة، كريمة محمد (٢٠٠٩)، مفهوم حوار الحضارات عند روجيه غارودي، مجلة العلوم الانسانية والتطبيقية، العدد ١٨، الجامعة الاسمية الاسلامية، زليتنن كلبتي الاداب والعلوم، يونيو، ليبيا.
- ٢٠- نجم، زياد، غارودي (٢٠١٠)، رؤية جديدة لمستقبل الحوار بين الحضارات ن مجلة وزارة الثقافة، العدد ٥٦١، وزارة الثقافة.



Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper.

Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to Mustansiriyah University, College of Arts, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance offered by the institution greatly contributed to the successful completion of this study

